(الفتَّاح)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:2].

وقال سبحانه: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف:89].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أصبَحَ أحَدُكُم فَليَقُل: أصبَحنا وأصبَحَ المُلْكُ لِلهِ رَبِّ العَالمينَ، اللهمَّ إني أَسأَلُكَ خَيْرَ هذا اليومِ: فَتحَهُ، ونَصْرَهُ، ونُورَهُ، وبَرَكَتهُ، وهُداه، وأعوذُ بكَ من شَرِّ ما فِيهِ، وشَرِّ ما بَعدَهُ، ثم إذا أمسى فَلْيَقُل مِثْلَ ذلك**». [أخرجه أبو داود]

عنوان خطبة اليوم:

(الفتاح)

أيها الإخوة:

الفتَّاح: اسم من أسماء الله تعالى، ورد في القرآن الكريم بصيغة المفرد مرة واحدة في سورة سبأ: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [الآية:26]..

وورد بصيغة الجمع مرة واحدة في الأعراف: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الآية:89].

وورد الفعل منه والاسم المصدر عشرات المرات ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [فاطر:2]، ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ [الأعراف:89]، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:1]، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح:1].

وأصل الفتح في اللغة: إزالة الإغلاق والإشكال، وقد جاء في القرآن على ثلاثة معانٍ:

- **المعنى الأول**: الفتح عكس الإغلاق، ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [القمر:11]
- **والمعنى الثاني**: الفتح بمعنى النصر، وهو إزالة الإغلاق عن عسر المعركة، ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف:13]
- **والمعنى الثالث**: الفتح بمعنى الحكم والقضاء بين الناس، وهو إزالة الإغلاق عن فَهْمِ المسألة، ومن هذا المعنى سمَّى الله يومَ القيامة يومَ الفتحِ؛ لأنه يفصل فيه بين الخلق ويحكُم ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [السجدة: 29]

وبذلك يكون معنى اسم الله "الفتَّاح":

ا.الفاتح الذي يفتَح أبواب الأرزاق والرَّحمات لعباده.

ب.والنَّاصر الذي ينصر عبادَه.

ج.والحاكم الذي يحكم بين عباده بالحقّ.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ : (أي: افصل بيننا وبين قومنا، وانصرنا عليهم، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ أي: خير الحاكمين، فإنك العادل الذي لا يجور أبداً).

فيا أيها الأخ:

أنت عبدٌ للفتَّاح، سيحكم يوم القيامة بعدله فلا تقنط، وسينتصر لعباده المؤمنين فلا تخَف، وسيفتح بينك وبين من ظَلَمَك فلا ضَيعة لحقِّك.

قال العلماء: الفتحُ نوعان:

1) فتحٌ يدرَك بالبصر: كفتح الباب؛ ومنه فتح أبواب الجنة ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر:73].

2) وفتح يدرَك بالبصيرة: كغمٍّ يُفرَج، وكربٍ يُرفَع، وفقرٍ يُزال، ومرَضٍ يَذهب، وكفتح المستغلق من العلوم أو الفتوحات الروحيّة ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:96]

3) أيها الإخوة:

الله الفتَّاح؛ يفتح ما انغلَق من الأمور والأحوال والأزمات، فيجليها منه فضلاً، وييسِّرُها منه عطفاً، ويفرِّجها منه كرماً، وإن ظنَّ النَّاس أنَّها لا تنفتح!

الله الفتَّاح؛ يفتح على من يشاء من أبواب الطاعات والقرُبات:

فيفتح على قومٍ في القرآن، والعنايةِ به.

ويفتح على قومٍ في الصلاة؛ فتكون قرةَ عينٍ ومعراجَ روح.

ويفتح على آخرين في الدعاء.

منهم من يفتح له في الصيام؛ حتى إنه ليصومُ يوماً ويفطر يوماً، وهو سهلٌ عليه.

ومنهم من يفتح له في صلة الأرحام، فلا يزال يزورهم، ويحسن إليهم، ويبرّهم.

ومنهم من يفتح له في مساعدة المحتاجين وإغاثةِ الملهوفين، ورعايةِ الأيتام والمعاقين، وتفريجِ كربات المكروبين، وتسديدِ ديون الغارمين، وكفالةِ المساكين والمرضى المعوزين، وحملِ الأرامل والفقراء..

ومنهم من يفتح عليه في أبواب الشَّفاعة، فيستخدمُ جاهَهُ ومكانته ليفكَّ أسيراً، ويحقنَ دماً، ويمنع باطلاً، ويحجز ظلماً، ويقيم حقّاً..

ومنهم من يفتح عليه في أبواب الإصلاح بين الناس، فيَرُدَّ الزوجة إلى زوجها، والابن إلى أبيه، والصَّاحب إلى صاحبه.

قال معروف الكرخي: (إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح له باب العمل، وأغلق عليه باب الجدَل، وإذا أراد بعبدٍ شراً أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل).

ويفتح الفتَّاح على بعض عباده في تعليم العلوم الشرعية، هذا في الفقه، والآخر في التفسير، والثالث في العقيدة..، ولذلك تراهم يسمُّون كتبهم: "فتح الباري"، "فتح المغيث"، "فتح الوهاب"، "فتح القدير"، "فتح العزيز"، "فتح رب البرية"، "الفتح الرباني"..، وهذه كلها أسماءُ كتبٍ شرعية.

ويكون من الفتح أيضاً: الإلهام الذي يُلهِمه الله تعالى مَن يشاء من عباده؛ فيكون ملهَماً موفَّقاً مصيباً للحقِّ لا يختار بين أمرين إلا اختار الأصوب. قال عليه الصلاة والسلام: «**إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحَدَّثُون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب**». [أخرجه البخاري ومسلم]

أيها الإخوة:

الله الفتَّاح يأتي بالفتح من حيث لا ندري، فيوسف عليه السلام سُجِن بضعَ سنين، ولكن شاء الفتَّاح أن يكون السِّجن سبب الفتح؛ لأنه لو لم يسجَن لما تعرَّف على ساقي الملك، ثم عبّر الرؤيا للملك، ولو خرج من السجن مبكِّراً قبل رؤيا الملك ما صار عزيزَ مصر...

لقد كان سجنه ثم خروجه فتحاً عليه وعلى أهله وعلى أهل مصر وما حولها بخطته في مواجهة المجاعة.

كتب أحد الدعاة: كان يوسف عليه السلام مسجوناً وشابَّان آخران، كان يوسف الأجمل والأحسن بشهادتهم ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36] ، لكن الله أخرجهم قبلَه، وظلَّ

هو رغم كل ميزاته بعدهم في السجن بضعَ سنين، خرجَ الأول ليصبح خادماً، والثاني ليُقتَل، وانتظر يوسف طويلاً، لكنه خرج ليصبح عزيز مصر، ويلقى والديه، وليفتح له الفتاح أبواب الخير.

فإلى كلِّ الصابرين المتَّقين من أهل الشام الذين تأخَّرت أمانيهم لكم فألُ يوسف، واذكروا أن الإعلان عن الأول يبقى دائماً لخاتمة الحفل، وتأكدوا أن الفتاح لاينسى من أطاعه وطلب منه ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:90]

أيها الإخوة:

الفتَّاح يأتي بالفتح من حيث لا ندري، وفوق ما نتوقع:

سعت السيدة هاجر بين الصَّفا والمروة، وأقصى ما تتمنَّاه من الله أن يشرَب إسماعيل، ولكن يأتي الفتح بصورة فاقت التوقُّع؛ فتحٌ ممتدٌ إلى يوم القيامة..

لما بَلَغَ منها الجَهدُ مبلغَه، وأخَذَ منها الكربُ مأخذَه، وأيقنَت أن لا ملجأ ولا منجا إلا بالله.. سمعَت صوتَ جبريل عليه السلام: لا تخافي الضَّيعة، وجاءها الفتاح بالفرَج العميم.

قال الإمام الغزالي: (الفتَّاح هو الذي ينفتِح بعنايته كلُّ منغلق، وبهدايته ينكشفُ كلُّ مشكِل، فتارةً يفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أيدي أعدائه ويقول ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح:1]، وتارة يرفع الحجاب عن قلوب أوليائه ويفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائه وجمال كبريائه ويقول ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:2]، ومَن بيده مفاتح الغيب ومفاتيح الرزق فبالحري أن يكون فتَّاحاً).

يا فاتحاً لي كل باب مرتَجِ إني لعفو منك عني أرتجي

فامنن عليّ بما يفيد سعادتي

أيها الإخوة:

بامتثالِ أمرِ الله وبالالتجاء إليه وبالأخذ بالأسباب يستجلِبُ العبدُ الفتوحات الربَّانية، لأنَّ الأخذَ بالسَّبب من الأدب مع الله، ولأنَّ ما عند الله لايُنال إلا بطاعته، ولأن من اعتمد على الله

كفاه ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾ [الكهف:16]

ويقول الفُضَيل بن عياض رحمه الله: تعلَّمتُ الرجاء في الله من طفل صغير!! قالوا: كيف ذلك؟!! قال: كنتُ في طريقي إلى المسجد، فإذا بأمٍّ تفتح بابَ بيتها وتُخرج منه طفلاً صغيراً وتُغلق الباب، وبعدها وقف الصغير على الباب يبكي ويستعطف ويرجو، فرقَّت له أمُّه ففتحت له وضمَّته إليها.

فقلت سبحان الله! هذا طفلٌ وقف بباب أمِّه يبكي ويستعتب (يعتذر)، ففتَحَت له، ولو وقف العبد بباب ربِّه يبكي ويستعتب لفتح له...، فسبحان الله!

ختاماً: ماالمطلوب منا في هذه الخطبة:

المطلوب أمران:

الأول: أن نبقى متضرِّعين على باب الفتَّاح نطرقه بالتزام أمره وطول مناجاته والأخذِ بالأسباب الممكنة ليفتح لنا باب فرَج لا يُسدّ، وأبواب خيرٍ لاتُعَدّ.

ببابك لن أغادره ولن أسعى إلى غيرك

سأنسج بالرضا ثوبي وأشرُف أنني عبدك

والمطلوب الثاني: أن نفتح –ما استطعنا– لخلقِ الله أبواب خير ومسرَّات، ونوافذَ أملٍ ومبرَّات، خاصَّة في الأزمة، فطوبى لمن جَعَله الله مفتاحاً للخير مِغلاقاً للشر.

كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: **«رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ»**.

ويدعو عند دخوله المسجد: **«اللهمَّ افتح لي أبواب رحمتك»**.

ويدعو في أوراد الصباح والمساء: **«اللهم إني أسألك خير هذا اليوم؛ فَتْحَه ونَصْرَه ونورَه وبركَته وهداه، وأعوذ بك من شرِّ ما فيه وشرِّ ما بعده»**.

و الحمد لله رب العالمين